

مقدمة

بقلم الأستاذ أحمد فراهى أبو الخير

عرفت صديق نصيف ، مؤلف هذا الكتاب ، بعد ظهور الترجمة العربية التى قمت بها لكتاب « على حافة العالم الأثيرى » ، ولست منه ميلا صادقا لمواصلة التجريب فى الظواهر الروحية ، بل لست منه كذلك العنف فى ذلك الميل

وزاملته فى التجريب ، فأنست منه العنف فى المضى فيه ، حتى لقد كان يقسو على نفسه فيجسمها مشقة السفر ومتاعب الانتقال ، لكي يزداد اطمئنانا على تجاربه .

وقرات كتابه هذا بعد طبعه ملزمة ملزمة ، فإذا بى ألس فيما أقرأ هذا العنف يطنى على بعض عباراته ؛ فصاحبى عنيف حتى فى إخلاصه !

وإذا بى أجد الكتاب مجهوداً جباراً يشهد لصاحبه بالجلد والمجادة والصبر والمصابرة . وكنت أود لو خفف من حدة لهجته ، ودقق فى نقل ما استشهد به من آيات ، وكنت أود لو كف عن ذكر المذاهب الفلسفية التى لم تثبت عمليا ، كالماذهب القائل برجمة الروح ، فتنحدر إلى نطفة لكي تكون جنينا يولد من جديد فى هذا العالم المادى ، لأن هذا لا يتفق والقاعدة الروحية الأساسية القائلة ببقاء الشخصية بعد الموت .

وإني إذ أقدم هذا الكتاب إلى قراء العربية أرجو أن يتقبلوه بصدر الباحث الحر الواسع الصدر ، فالحقيقة فى الواقع بنت البحث الحر .

أحمد فراهى أبو الخير

القاهرة
رجب سنة ١٣٦٦
بونه سنة ١٩٤٧

مقدمة المؤلف

فى عام ١٩٢٦ أنهيت دراستى الابتدائية بمدرسة الجالية الأميرية بالقاهرة ، وبعدها التحقت بكلية الأمريكان بأسىوط وعملا برغبة والذى إذ أرادنى وقتئذ أن أكون من رجال الدين دخلت قسما خاصا يسمى « بالقسم التهذيبى » ، على أمل الالتحاق بمدرسة اللاهوت بالعباسية بعد الحصول على دبلوم الكلية .

أنتمت دراستى الثانوية وكنت أول الحائزين على دبلوم هذا القسم عام ١٩٣١ . وكانت المادة المتبعة فى دخول مدرسة اللاهوت ، أن يقبل الطالب عن طريق المجمع التابعة له ببلدته وهناك خمسة مجامع رئيسية حسب تقسيم الطائفة الإنجيلية : الوجه البحرى ، والأقاليم الوسطى ، وأسىوط ، والأقاليم العليا ، والسودان ، وقد تزيد عدد المجمع بعد قسمة بعضها إلى مجمين .

ولما كانت الفيوم تابعة لمجمع الأقاليم الوسطى ، قدمت طلب الالتحاق باللاهوت عن طريقه ، وكان يرأسه إذ ذاك المرحوم القس جبرا حنا ، وكان وقتئذ عضوا باللجنة المالية لسنودس النيل المشيخى الإنجىلى ، وهو المجمع المشرف على شؤون الطائفة الإنجيلية بالقطر ، وراعيا لكنيسة الفيوم الإنجيلية .

وفى ذلك الحين صادف الناس أزمة مالية كادت تجتاح العالم ولقد بلغت أشدها فى جميع مرافق الحياة وبخاصة الإرساليات والمنشآت الدينية ، فما كان من رئيس المجمع وهو أدرى بحالة السنودس المالية إلا أن يقف معتذرا للأعضاء عن قرار اللجنة الخاصة بالنظر فى الطلبات المقدمة لمدرسة اللاهوت بتأجيل ما قدم من طلبات إلى العام التالى لأن ميزانية السنودس لا تسمح بقبول جديد بالمدرسة ، ولا سيما أن الطالب وقتئذ كان يتناول مرتبا شهريا خلا سكنه فى المدرسة .

وهكذا تأجل قبول طلبى مع زميل لى كان حائزا على شهادة إتمام الدراسة الثانوية قسم ثان مع دبلوم الكلية ، بينما قبلت جميع الطلبات من زملائنا الذين قدموا عن طريق المجمع الأخرى دون إعارة الأزمة المالية أى التفات ، وكل مجمع حر فى قراراته .

وقد زادت دهشتى أنا وصديقى عندما سمعنا أن آخر دفعتنا ترتيبا من حيث العلم

والأخلاق قبل عن طريق مجمع أقاليم الوجه البحرى بينما أنا مع أولويتي وزميلي وله كفاءته العلمية مع ما توفر فينا من أهلية ومناسبة للخدمة أخلاقيا لم تقبل وقد كنا جميعا مجمعين على أن هذا الزميل لا يمكن قبوله بمدرسة اللاهوت بأى حال .

وما توقعناه قد تم فعلا إذ بعد قبوله بشهرين وصل إلى مسامعنا فضله من المدرسة نهائيا لأسباب أخلاقية لا تتفق وما تتطلبه الخدمة من عفة وطهارة فكان أول حادث من نوعه فى تاريخ مدرسة كهذه يقابله كذلك رفض طلبينا .

رجعت من المجمع إلى حيث كان يعمل والذى كناظر زراعة بإحدى القرى المجاورة لمديرية بنى سويف وقد بلغ مني اليأس إذ لم أعد فى نظر الله مستحقا أن أكون بين خدامه . بعد أن استقررنى الحال بعد عناء السفر خرجت للترهة بين المزارع وفى هذه الخلوة والهدوء الشامل بين أحضان الطبيعة جلست لأسترجع ما مررنى وأفكر فى هذا الحادث الجلل فى حياتى الذى كان كصدمة قوية ايقظتنى من سبات عميق .

لقد كنت منذافا طوال تلك السنين وأنا سليم النية أحلم بذلك اليوم الذى فيه أنخرط فى سلك الخدمة الدينية . انكسبت على دراستى بكل جد ونشاط محتفظا بالأولوية ما أمكن سواء أكان من الناحية العملية أو الأخلاقية أو القيرة الدينية وما أن حاولت وضع قدمى على الطريق الذى اخترته لنفسى حتى أمتدت يد الحياة لتسد الطريق المختار وهكذا تبغض الحياة مانضع من خطط لأن لها خططا تفوق ما نتصور .

نارت النفس رغم الهدوء الخارجى وانقلب ذاك الملاك المؤمن بكل شىء إلى كافر ملحد بكل شىء حتى بتلك القوة التى يسمونها الله .

فهاهم رجال الدين وهم أول من يدعى الإيمان بالله ضربوا إلى أقوى الأمثلة فى الخوف من المستقبل . لو أن عندهم إيمان حسب قول السيد كحبة خردل ولو كان عملهم حقا هو عمل الله كما يدعون لما أعاروا الأزمة المالية وما يشابهها من الصعوبات أى انتباه .

ساورتنى تلك الثورة الفكرية بضعة أيام بعدها تركت « بنى حدير » حيث كنت إلى القاهرة حيث كان أكبر اخوتى يعمل كمعاون محطة بإحدى ضواحيها .

قدمت طلبا لشركة فا كوم وبعد أسبوع جاءنى الرد بالقبول وبينما أنا على وشك الالتحاق بالشركة فوجئت بخطاب من مدير الكلية فيه يطلب مقابلته بمكان ما بالقاهرة . ذهبت حسب الموعد حيث كان فى انتظارى وما أن رآنى حتى رحب بمقدمى وأخذ يبيد أسفه الشديد وأسف الإرسالية عامة لقرار المجمع برفض طلبات الالتحاق بمدرسة

اللاهوت وكيف أنى كنت أحق من غيرى بالقبول .

بعدها ولشدة دهشتى ففتح أمامى مسألة الشركة التى كنت على وشك العمل بها وعرفنى أنه قابل مديرها ببناء على خطاب من الأخير فيه يستفسر عني ، فطلب رفض قبولى لأن الإرسالية فى حاجة إلى خدماتى بأسىوط .

وهنا استكنت للأمر الواقع ولا سيما أننى كنت معافى من القرعة العسكرية لإنخراطى فى السلك الدينى وكان لا بد من تمضية خمس سنوات فى خدمة الإرسالية ورفضى يؤدى إلى دفع البدل ولم يكن معى منه شيء أو دخول الخدمة العسكرية .

سافرت راجما للكلية بأسىوط حيث عينت مساعداً لأستاذ علم الأحياء وقد كان معبودى من بين جميع الدروس اذ أننى جد شغوف بدراسة كل ما يمت للطبيعة . وبجوار ذلك كنت أعمل كسكرتير للجمعية السيدات المسيحية لمنع المسكرات والمخدرات بالقطر المصرى تحت رئاسة سيدة من أنبل سيدات القطر .

مرَّ عام خیرت بعده بين التقديم لمدرسة اللاهوت أو الانقطاع لخدمة الجمعية التى اتسع عملها واحتاجت لمن يجوب مدن القطر وقراه لمرص صور بالفانوس السحرى والقاء المحاضرات ضد المسكرات فرفضت الأولى ورحبت بالثانية وأخذت أجوب مدن الوجه القبلى شتاء وبلدان الوجه البحرى صيفا متنقلا بين مدن وقرى القطر من أسوانه حتى الإسكندرية لمدة عام كان بحق من أثنى سنى حياتى وأخصبها من حيث اختبار الحياة لما اتيج لى من الفرص لدراسة حياة أناس مختلفى المشارب فى اعتقاداتهم الدينية بعد عزلة خمس سنوات دراسة بالكلية أشبه بعزلة الناسك ، وما رأيت من تعصب بغیض بين طوائف المسيحية المختلفة كان عاملا فى تغيير مجرى أفكارى وكان تجوالى من بلدة لأخرى لحياى بمثابة القمة من الجبل فقد أوقفتنى متأملا تجاه هذا العالم وأرأى سبل البشر ومروج أميالهم الدينية وكهوف شرائعهم وتقاليدهم .

بعد انتهاء العام بقليل وفى سبتمبر سنة ١٩٣٣ عين قریب لى مديراً لإحدى الشركات الهامة بأسىوط فذهبت لزيارته وبعد الزيارة تولت فى نفسى فكرة التقديم والالتحاق بهذه الشركة وفى ٣٠ من الشهر نفسه عينت فى نفس الفرع مع قریبى هذا وتركت الجمعية والكل فى أسف على ترك عمل بدأت ترى نتائجها الملموسة .

بعد عام عينت أمينا لأكبر مخازن الشركة بالوجه القبلى وذلك بالفيوم .
أتخطى بالقارى خمسة أعوام وفى يوم من أيام الآحاد عام ١٩٣٩ سمعت إن راعيا يدعى

القس شفيق برسوم سيقوم بالقاء عظة الصباح بالكنيسة الإنجيلية بالفيوم .
رجعت بي الذاكرة إلى ذلك الزميل الذي شاركني حكم المجمع برفض طلبينا للالتحاق
بمدرسة اللاهوت فذهبت لمقابلته وبعد الانتهاء من الخدمة اصطحبته لنتزلى وقد عرفت منه
أنه أعاد الكرة بتقديم طلبه في العام التالى وقبل .

وبعد تمضية ثلاثة أعوام بمدرسة اللاهوت تخرج كبشعر ليرسم بعد ذلك في ٢٤ مارس
سنة ١٩٣٨ قساً وراعياً لكنيسة طاميه الإنجيلية بالفيوم ، واشترك في رسامته نفس الراعى
الذى عارض في قبولنا بمدرسة اللاهوت من قبل . وهكذا شاءت الأقدار أن نجتمعنا بعد
فراق ثمانية أعوام وأن يكون عملنا بنفس المديرية .

أدخلته غرفة الجلوس وقد أسدت على نوافذها الستائر السوداء ، وهنا نظر إلى سؤال
السؤال الذى يحول بخاطر كل من يرى علامات الحداد .

— هل فصل الموت بينك وبين صديق عزيز ؟ قل لى بحق الصداقة ما هذا السواد
وعلام هذا الحداد ؟

— إن هذه الستائر التى أوجت لك بهذا السؤال ليست كما تتوهم ، بل هى إحدى
مستلزمات حجرة تحضير الأرواح .

فنظر إلى مشدوها ثم قال أأنت من محضرى الجن والشياطين !
فأجبتته محاولاً ضبط عواطفى لهذه الإهانة التى صدرت منه عفواً : « إن عالم الجن
والشياطين لا وجود له إلا فى أدمغة رجال الدين ، وإنى أحمد إلهى ألف مرة إذ سخر رئيس
المجمع الذى قدمنا له سوياً فرفض طلبينا وكان فى هذا الرفض نقطة تحول فى حياتى فبدل
الانحدار إلى هوة اللاهوت أذ بي أصعد إلى جبل المعرفة حيث نور الحق ولا أدرى إلى أى مدى
ستتم إرادة المولى عن طريقى وأنا بإزاء ما فيه من نعمة روحية وشركة مع سكان العالم غير
المنظور عاجز كل العجز عن شكر المنان على ما من به علىّ فإن من اتصل بهم داخل
هذه الغرفة ليسوا بالجن والشياطين بل هم الأهل والأحباب الذين كانوا يوماً ما معنا
على هذه الأرض وقد حان لهم الوقت للتحرر من قيود الجسد المادى فانطلقوا غير آسفين
على عالمنا ليتمتعوا بعالم هو أزهى العوالم نوراً وأبهها جمالاً .

وهنا استرسلنا مما فى مناقشة حارة وسيجد القارى مثيلها فيما بعد ، وقد حاول ذكر
آيات من الكتاب المقدس لتحريم ما أنا بصددده فكنت أجيبه من نفس الكتاب بما يثبت
وبعضد الروحية إلى أن أسقط فى يده وأعيته الحيل أمام ما قدمت له من براهين كتابية

وعلمية خلاف ما كنت قد اختبرته عملياً وأخيراً وقد استساغ براهيني قال : « لا تنسى يا صديقي أن ظروفى كأحد رجال الدين لا تسمح لى بعمل ما تعمله ولا حتى المجاهرة به » .

وهنا رثيت صديقي لما هو فيه من أغلال كنسية وأصفاد عقديّة فهو مقيد بأن لا يجاهر إلا بتعاليم الكنيسة التابع لها وأن يكون أميناً لها حتى ولو كانت مخالفة لكل معقول . وقبلت بدى حمداً وشكراً لعدم انحراطى فى سلك خدمة كهذه تفرض على أن لا أرى إلا بمنظارها ولا أفكر إلا بتفكيرها .

وهكذا شاءت السماء فمتقتنى على حين غفلة من عبودية تعاليم اللاهوت لتسيرنى حراً فى موكب المعرفة والحق ، ومعرفة الحق هى الحرية الوحيدة فى هذا العالم لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم ولا تسود عليه نواميس العقائد وأحكامها .

وهكذا خاب ظنى فما اعتبرته يوماً من الأيام عدم رضى من المولى إذ أغلق أمانى مدرسة اللاهوت إذ هو عين الرضى فأنا الآن حر طليق . أفكر كيف أشاء وأبحث ما أشاء وكمن نعمة فى نعمة طويت فمن الآكل خرج أكل ومن الجانى خرجت حلاوة وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

حمداً لله وألف حمد وشكراً للخالق وألف شكر على نعمة الروحانية وسوف يقف القارى الكريم على مبلغ ما حبتنى به السماء علنى فى سرد قصتى فى الروحانية أقدم للآخرين نوراً وإرشاداً . وسوف يجد القارى علوماً خفية وحكماً نيو صوفية كما يجد آيات كتابية وأخرى قرآنية فقد كتبت وشمارى خذ الحكمة ولا يضر نك من أى وعاء خرجت . وكل ما أتمناه من صميم قوادى أن يوجد كتابى هذا ميلاً عند القارى لبحث هذا الموضوع الهام فيقوم بتطبيق ما يقرأه عملياً .

فالى أصحاب العقول النيرة وخدمهم أضىء نوراً جديداً وأهديهم إلى رحي جديد وأقدم سلاح النور . والشئ الوحيد الذى أجاهر به أن كتابى هذا سفر الحق خلا من زخرف القول أو الألفاظ الخلابة المنمقة وشمل وصف أبجائى وتجاربى والمعلومات القيمة التى وصلت إليها وسواء عندى صادف ذلك قبولا من الناس أو لم يصادف فإنى لست مبشراً .

ولكننى أؤمن أن الحق قوة كامنة فى الخليقة ، وقد حان الوقت الذى يجد له مكاناً فى قلوب البشر .